

تعليمية اللغة العربية بين التجديد والتقليد

Didactic Arabic language between renewal and tradition

د. فريحي مليكة*¹

satesba036@gmail.com

¹ جامعة مستغانم - الجزائر

تاريخ النشر: 2020/12/31

تاريخ القبول: 2020/11/29

تاريخ الإرسال: 2020/10/30

ملخص:

أثبت المهتمون باللغويون أن تعليمية اللغة العربية لن تجد فاعليتها ما لم تركز على نظريات علمية مختصة ودقيقة، تهتم باللغة، وخاصة أنها ظاهرة شديدة التعقيد، فهي نفسية لأنها تمثل أحد مظاهر السلوك الإنساني، وهي اجتماعية حيث أنها تدرس التبادل المعرفي الحاصل بين الأجيال والأمم، وكل هذا يعتمد على جهود علماء اللغة سواء الذين حملوا لواء التقليد ودافعوا عنه أو الذين اجتهدوا في الدرس اللغوي الحديث وحاولوا الخروج بنظريات جديدة، أو الذين زاجروا بين المعيارية والحداثة من أجل المساهمة في تطوير وإغناء اللغة العربية عبر صياغة العديد من الطرق والقواعد وتقريبها للمتعلم. الكلمات المفتاحية: التعليمية؛ السلوك الإنساني؛ اللغة العربية.

Abstract: Concerned linguists have proven that the teaching of the Arabic language will not find its effectiveness unless it is based on specialized and accurate scientific theories, concerned with language, especially as it is a very complex phenomenon, it is psychological because it represents one of the aspects of human behavior, and it is social as it studies the exchange of knowledge taking place between generations and nations, and all This depends on the efforts of linguists, whether those who carried the banner of tradition and defended it, or those who worked hard in the modern linguistic lesson and tried to come up with new theories, or those who married normality and modernity in order to contribute to the development and enrichment of the Arabic language by formulating many methods and rules and bringing them closer to the learner

Keywords: educational; human behavior; Arabic language

* المؤلف المرسل

تعتبر اللغة العربية، من أهم اللغات الإنسانية، حملت إلينا عبر العصور من ثمار علوم العباقرة وابتكارات العلماء وأخبار القرون والأمم التي خلت، حيث أنها تزداد قيِّمة وأهمية عندما نقارنها ببقية اللغات العريقة، فنجد لها من ميزات نادرة منها، شاء الله أن يزل بها القرآن على قلب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فوسعت كلام الله لفظاً ومعنى. ومنها استطاعت أن تبقى على أصالتها سليمة نقية ذات فصاحة وبيان بحفظ من الله، وبفضل رواد اللغة وعلماء النحو.

ومن أهم ميزات هذه اللغة؛ أنها محسودة ومكروهة بين أعداء الإسلام والمسلمين؛ وعلى رأسهم المارقون داخل الوطن الإسلامي؛ وبعض المستشرقين الذين أثاروا الدعوة إلى اللهجة العامية؛ ولكن نحمد الله أم لم يجدوا حتى الآن أذانا صاغية لهذه الدعوة الماكرة الخبيثة.¹

غير دهر طويل كانت اللغة العربية هي اللغة الحضارية الأولى في العالم. فهي أقدم اللغات التي ما زالت تتمتع بخصائصها من ألفاظ وتراكيب وصرف ونحو وأدب وخيال، مع الاستطاعة في التعبير عن مدارك العلم المختلفة. ونظراً لتمام القاموس العربي وكمال الصرف والنحو فإنها تعد أم مجموعة من اللغات تعرف باللغات الأعرابية أي التي نشأت في شبه جزيرة العرب، أو العريبات من حميرية وبابلية وأرامية وعبرية وحبشية، أو الساميات في الاصطلاح الغربي وهو مصطلح عنصري يعود إلى أبناء نوح الثلاثة: سام وحام ويافت. فكيف ينشأ ثلاثة أخوة في بيت واحد ويتكلمون ثلاث لغات. إن اللغة العربية أداة التعارف بين ملايين البشر المنتشرين في آفاق الأرض، وهي ثابتة في أصولها وجذورها، متجددة بفضل ميزات وخصائصها.²

يحسب لعلماء اللغة العربية إنجازهم العظيم في بحوث الأصوات اللغوية التي سبقوا بها الأوروبيين حتى العصر الحديث، وهذا ما شهد به اللغويون المحدثون، وأكدته أجهزة تحليل الأصوات وتسجيلها، ولم يسبقهم إلى أنجاز مواز إلا أسبقية وصف علماء السنسكريتية لأصوات لغته³

¹ ينظر: فريد الدين آيدن: أهمية اللغة العربية وتدريسها وأهدافها ودورها في بث العلوم والمعارف وتسهيل الاتصالات، أسطنبول - 1996 م. ص: 14/15.

² فرحان سليم، اللغة العربية ومكاتها بين اللغات، مكتبة نور، دط، ص: 3.

³ أحمد عبد العزيز دراج: الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسات العلوم اللغوية، مكتبة الرشد، 1434هـ/2003، ص: 54.

إذا كانت البحوث اللغوية الهندية قد قامت بغرض الحفاظ على الفيذا كنص مقدس لدى الهنود، وللغرض نفسه عند غيرهم من الشعوب، فإن البحث اللغوي العربي قد نشأ لبواعث متشابكة أهمها الحفاظ على لغة القرآن، وفهم معانيه، والتعرف على أسراره فضلاً عن بواعث قومية واجتماعية منها: نضج العقلية العربية، وتفاعلها مع الحضارات الأخرى¹

تأثرت العربية الحديثة والمعاصرة بالحرية المتزايدة، وأصبح الموقف الشخصي من القارئ متعة يصعب التشكيك في آثارها. وباسم العلاقة الإنسانية بين الكاتب والقارئ يمكن أن يرتكب الكثير، ويقبل الكثير أيضاً. ولكل بحث في اللغة أهداف ولا يزال حتى الآن نتخوف من بحث آثار هذه العلاقة، وضياع مستوى أساسي يجب أن تحتفظ فيه اللغة بالدقة والصرامة. والمسألة أن الدقة أو الصرامة ليس لها جمهور ينافع عنها. وربما من علامات نضج القارئ العام تشوق، بين وقت وآخر، لهذه الدقة وتبجيلها الواعي لمقتضياتها².

تعليم اللغة عملية مركبة تتداخل فيها عدة عوامل ولا تخلو من التعقيد، فهي بذلك تنطوي على صعوبات ليس في الإمكان تذليلها، إلا عن طريق السعي من أجل تأمين المنهج القويم وتوفير المستوى الرفيع. وفي حال تعدد ضمان هذين الشرطين اللأزمين، تنشأ العوائق أمام تطوير تعليم اللغة، وتقوم الموانع في وجه التجويد والتحسين والتطوير لأساليب التلقين حتى تكون لها الفعالية والتأثير. وتلك هي التحديات التي تواجه تعليم اللغة العربية في هذه المرحلة التي تعيشها الأمة العربية الإسلامية، والتي تؤثر سلباً في تطوير اللغة، وفي توسيع دائرة انتشارها، وفي تقريبها من الناشئين وغيرهم من الراغبين في تعلمها من الناطقين بغيرها، وفي مواكبتها للتطور الذي يعرفه الحقل اللغوي على الصعيد العالمي³.

¹ المرجع نفسه، ص:46.

² مصطفى ناصف: اللغة والتفسير والتواصل، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

إشراف أحمد مشاري العدواني، 1923/1990، ص:14.

³ عبد العزيز بن عثمان التويجري: تعليم اللغة العربية تحديات ومعالجات، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو

1438 هـ 2017 م، الرباط المملكة المغربية، ص: 8.

وقد نتج عن هذا الانفتاح حول الدراسات اللسانية الحديثة
1. تقليص المسافة المعرفية بين القراءة المنهجية والدرس اللغوي تجسيدا لمبدأ وحدة
وتكامل وترابط مواد اللغة العربية.

2. الانتقال من دراسة المواد اللغوية ألي دراسة الظواهر اللغوية، فلم تعد المادة اللغوية
أبوابا في البلاغة والعروض مفصولة، وإنما أصبحت ظواهر لغوية.¹

إن التجديد والتقليد عنصران متلازمان في كل المراحل الزمنية وفي جميع المعارف
العلمية؛ والفصل بينهما من نوازع المستحيل، بل لا يصح بتاتا فقد لزمته هذه المبادئ كل
أنواع العلوم الإنسانية والطبيعية وحتى علوم التقنية الحضارية؛ فعلى سبيل المثال نجد
معارف الطب تتجدد بحسب الظروف الصحية وقد يأتي اكتشاف علمي ليثبت نجاعة دواء
قديم، وقد يأتي اكتشاف آخر ليققل من فاعلية دواء جديد، وقد تتضارب النظريات
الطبية حول دواء معين .

إن التجديد والتقليد من المفاهيم العقلية التي يفرزها الفكر الإنساني تحت تأثير
عوامل مختلفة كظروف البيئة الطبيعية أو الحاضنة الاجتماعية أو الانتماءات الدينية أو
الأحوال النفسية والشخصية أو الظروف السياسية والاقتصادية و خلاصة ما قدمناه أنه
يجب- بل يفترض -على اللغويين العرب من أهل التخصص والمجال توحيد وإخلاص
جهودهم وتكثيف أبحاثهم وتدقيق أفكارهم، والسعي مليا لإرساء منهج ومرجع يحافظ على
(خصوصية اللسان العربي) ويراعي نقاط التقدم الحضاري العالم ي التي تقوم عليها
العلوم اللغوية الحديثة.²

أصبحت اللسانيات تشكل حقا أساسيا وحاسما في البحث الديدانكتيكي اللغوي، فهي
منطق ومحور أي بحث حول تعليم وتعلم اللغة، ولا ترجع هذه الأهمية إلى هيمنة
اللسانيات على ديدكتيكا اللغات بقدر ما ترجع إلى أن النظريات اللسانية تقدم للباحث
الديدانكتيكي إمكانية التفكير والتأمل في مادته وبنيتها والمنهج التي تحكمها، ولعل منهج
اللغة العربية بهذا الانفتاح على المعرفة اللسانية سيساهم في تطور وإغناء اللغة العربية

¹ علي آيت أوشان: اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي، الأسس المعرفية والديدانكتيكية، ط1، 1998، دار الثقافة، البار
البيضاء، ص:25.

² عبد الرحم البار: الفكر اللساني العربي الحديث بين التجديد والتقليد، جامعة محمد خيضر، بسكرة-الجزائر مقال منشور في الأترنيت،
ص:188.

عبر صياغة العديد من المبادئ والقواعد وتقريبها لمتعلمها خاصة وخاصة وأنه ينحو منى يجمع بين التلقين والتطبيق¹

الاتجاه التقليدي

إن الطرائق التقليدية في تعليمية اللغة العربية لم تعد ناجعة ولم تحقق فاعلياتها، وهذا لعدم وضوح النظرية التي ترتكز عليها، وهذا لا يحط من قيمتها لأن كثيرا من نتائجها مازالت ذات قيمة وأهمية حتى الآن، لكن سبب العزوف عنها نتيجة:

1. تعلم المفردات في قوائم من كلمات معزولة.
2. شرح مستفيضة لمشكلات النحو المعقدة.
3. يقدم النحو قواعد تنظيم الكلمات ويركز التدريس على صيغ الكلمات وتصريفها.
4. قراءة نصوص كلاسيكية صعبة في مرحلة مبكرة جدا.
5. لا يوجه الاهتمام إلى النطق.
6. لا يوجه الاهتمام إلى محتوى النصوص، وإنما تعالج باعتبارها تدريبات على التحليل النحوي.²

وكان الهدف هو الخروج بمكون الدرس اللغوي من الطرائق التقليدية التي تتوخى الشحن؛ دون ربط المتعلم بالسياق التداولي الذي يمكن أن يستثمر فيه قاعدة نحوية اكتسبها، وتبين الطبيعة الجمالية للنحو العربي، وفكته عن العقد والصعوبة التي يسمها به البعض عن جهل وعجز أو بنية مبيتة تستهدف النيل من اللغة العربية ككل؛ بالقول بصعوبتها بوسمها بالمعيارية تارة، أو بالدعوة إلى حذف الإعراب، أو بإطلاق العنان للعامة في وسائل الإعلام) هناك جرائد تكتب أعمدها بالدارجة، كما تم تدريج بعض الأفلام المكسيكية بدعوى تقريبها من المواطن.³

وكما كلف النحاة التقليديون بدراسة اللغة المكتوبة كلفوا أيضا، بصورة أو بأخرى باللغة الأدبية أو اللغة الفصحى، وكانوا يميلون إلى إهمال أي خروج على هذه اللغة

¹ علي آيت أوشان: اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي، الأسس المعرفية والديداكتيكية، ط1، 1998، دار الثقافة، البار البيضاء، ص:25

² ينظر: علي آيت أوشان: اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي، الأسس المعرفية والديداكتيكية، ط1، 1998، دار الثقافة، البار البيضاء، ص:30

³ عبد الوهاب صديقي: اللسانيات وتدرسي اللغة العربية، تدرسي اللغة العربية من منظور لساني وظيفي حديث، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد:2، ديسمبر 2011، طنطان، المملكة المغربية، ص: 64.

وإدانتها، سواء في الكلام أو الكتابة ووصفه بأنه عامي أو غير صحيح، ومن ثم لم يستطيعوا إدراك أن اللغة الفصحى تاريخيا ماهي إلا لهجة إقليمية أو لهجة اجتماعية، اكتسبت مستوى معيناً بحيث أصبحت لغة الإدارة والتعليم والآداب نتيجة لانتشارها الواسع بين عدد كبير من الناس¹

المدرسة البنيوية

حدث فرديناند دي سوسير (1913/1857) بكتابه محاضرات في اللسانيات العامة أثراً بالغ القيمة في الدراسات اللغوية الحديثة، فقد كان هذا الكتاب حداً فاصلاً بين الدراسات اللغوية السابقة والدرس اللغوي الحديث، ومن أبرز مميزات اللسانيات السوسيرية أنها:

- لسانيات وصفية تقف عند حدود ملاحظة الظواهر اللغوية ووصفها.
- لسانيات سانكرونية تهتم بوصف اللغة في حالتها الثابتة.
- لسانيات تعطي الأسبقية للمنطوق من اللغة على المكتوب.
- لسانيات تهتم بالنسق اللغوي، فلا قيمة للعنصر خارج النسق.²

ففي الساحة العربية ظهرت المدرسة الخليلية الحديثة نسبة للخليل بن أحمد الفراهيدي وهي مدرسة أصيلة تعتمد على الفكر اللغوي العربي ولا تبعية ويتزعمها عالم اللسانيات العربية العلامة عبد الرحمان الحاج صالح، الذي عرف بمشاركاته في العديد الندوات التي كانت تقام لتطوير الجامعة الجزائرية، كما كانت له مواقف منها: الدعوة إلى تسيير النحو، كما له مشروع الذخيرة العربية الذي رحبت به الجامعة العربية ووقفت على تجسيده.

قام عبد الرحمان الحاج صالح بإعادة قراءة ما قاله الخليل بن أحمد الفراهيدي فخرج بمفاهيم جديدة مستعينا بدرأيته الواسعة باللسانيات الحديثة على اختلاف مدارسها، وبما لديه من إلمام باللغة وبنيتها، ومسار اكتساب اللغة وتطور وظائفها وغير ذلك من النظريات الحديثة.³

¹ جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1: 1985م، ص: 45.

² علي آيت أوشان: اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي، الأسس المعرفية والديداكتيكية، ص: 32/31.

³ ينظر: التواتي بن تواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دار الوعي للنشر والتوزيع، 2008، ص: 80/

بحث عبد الرحمان الحاج صالح العلاقة الوطيدة بين النحو والرياضيات في التراث العربي، فوجد أن ما قاله الخليل في كتاب سبويه، ثم ما وضعه في النظام التركيبي للغة الذي بنيت عليه معاجم الناس، فسرعان ما يقتنع بنزعة الخليل الرياضية في جميع ما يضعه من التحليلات والنظريات، فقد اخترع نظرية في الرياضيات واستغلها في وضع منهج قويم لمعجم العين الشهير، إذ بناه على تقليب كل الصيغ الأصيلة، بحيث تندرج فيه مع كلمة من الكلمات الأخرى التي تجمع حروفها وتختلف في ترتيبها بتقديم بعض منها على بعض، ويتساءل عبد الرحمان الحاج صالح إذا كان النحو العربي في زمن الخليل وسبويه بدائياً بالنسبة للسانيات الحديثة فما هذا الاتجاه الرياضي الذي أجمع معاصروننا على الاعتراف بوجوده عند الخليل.

بني كتاب العين على فكرة استفراغ جميع التراكيب التي تحتلها الحروف الصوامت العربية غير المزمدة فيها: الثنائية والثلاثية منها وهذا كان يسمى عندهم بقسمة التراكيب في الرياضيات الحديثة والمفهوم العاملي ومفهوم الزمرة الدائرية وغير ذلك. وهذا ما دعا الأستاذ أن يأخذ على عاتقه دراسة هذا التراث الغني ليخرج لنا بهذا الاتجاه لبيان أن هناك منهجا في الدرس اللغوي عند العرب لا يقل أهمية عما ظلتم به مفتونين¹ كما تميز القرن العشرون في مجال البحث اللساني بالمرهنة على أساسين:

1. أولهما: يسند إلى سوسير، وبلومفليد في الولايات المتحدة الأمريكية، فقد انتقدا النحو التقليدي، ودحضا أوالياته المعيارية.

2. استند إلى تشومسكي بأمريكا في الخمسينات، حيث بنى نموذجا للغة يقوم على انتقاد طموحات ومنهجيات البنيويين، ويتجاوز وصف اللغة إلى التفسير².

وقد أكد ذلك تمام حسان قائلا: والغاية التي اسعى وراءها بهذا البحث أن ألقى ضوءا جديدا كاشفا على التراث اللغوي العربي كله منبعثا من المنهج الوصفي في دراسة اللغة. وهذا التطبيق الجديد للنظرة الوصفية في هذا الكتاب يعتبر (حتى مع التحلي بما ينبغي لي من التواضع) أجراً محاولة شاملة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية تجري بعد سبويه وعبد

¹ ينظر: التواقي بن تواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ص: 82/83.

² علي آيت أوشان: اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي، الأسس المعرفية والبيداغوجية، ص: 31/30.

القاهر. أقول أجراً محاولة لأنني أعرف أنها كذلك، ولا أقول أخطر محاولة لأنني لا أعلم ما يترتب عليها من اثار.¹

وفي موضع آخر: وكنت أبين في تدريس هذا الموضوع ماتطلبه الفصحى من إعادة نظر في منهجيتها وطريقة تناولها، وفي سنة 1959، تحولت عن قسم الدراسات اللغوية بكلية دار العلوم (وهو القسم الذي يعنى أساسا بالمناهج الحديثة في دراسة في دراسة اللغة إلى قسم النحو والصرف والعروض، وهو المقابل للقسم السابق الذكر، وكان من بين الدهقين الذين يعيرون هذا الجديد كبار رجال هذا القسم، ولقد أشفقت أول الأمر على ما يدور في رأسي من أفكار المنهج الوصفي أن تهب عليها رياح اللوائح والسلطة الرسمية ومطالب تنشئة الطلاب في النحو العربي التقليدي تنشئة تؤهلهم بعد قليل لأن يعلموا هذا النحو في مدارس الدولة على الطريقة التي ألفتها هذه المدارس منذ نشأت في ظل التقاليد.²

وفي هذا السياق قدم اللسانيون المغاربة نماذج مائة، تؤكد ضرورة الانخراط في دعوتنا للبحث فيما نسميه بالطريق الثالث والهادف إلى فك الارتباط بين العلمين (اللسانيات التطبيقية.و. ديداكتيك اللغات). وإحداث في نفس الآن، قدر من التفاعل المتوازن بينهما. مما يؤكد أهمية الاستفادة من أبحاث اللسانيات المغربية الحديثة كاللسانيات الوظيفية مع أحمد المتوكل واللسانيات التوليدية الحديثة مع عبد القادر الفاسي الفهري، بهدف الخروج بمكون الدرس اللغوي من الطرائق التقليدية التي تتوخى الشحن، دون ربط التلميذ بالسياق التداولي الذي يمكن أن يستثمر فيه قاعدة نحوية اكتسبها وتبين في نفس أن الطبيعة الجمالية للنحو العربي³

وهذا، فإن اللسان بفضل نظامه الداخلي يستطيع أن يؤدي الوظيفة التي وضع من أجلها، وهي وظيفة التبليغ والتخاطب. أما هدف اللساني، فقد بات الكشف عن خواص هذا النظام، أي استخراج البنية التي تقوم عليها كافة الألسنة البشرية، على اختلاف

¹ تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994، ص: 9.

² ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994، ص: 8/7.

³ محمد الراج: ديكتيك اللغات واللسانيات التطبيقية، تداخل التخصصات أم تشويش برديكي، منشورات مجلة كراسات تربوية،

رقعها الجغرافية ومن هذا، سيطر هذا المفهوم في الحقل اللساني، إذ إذا منجها علميا تعتمد العلوم الاجتماعية، والإنسانية والنفسية في تحليلاتها¹
المدرسة السلوكية:

مع ظهور لسانين خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية مثل سايبير، وبلومفليد، وسكينر، الذي جمع بين علم اللغة وعلم النفس وبدأ في تطبيق الأبحاث اللسانية في مجال تعليم اللغة وتعلمها نظريا ومنهجيا منتقدا بعنف علم النفس الكلاسيكي، وقد كان هؤلاء الباحثون يصدرن نتائج أبحاثهم بالاستناد إلى أسس نظرية نابعة من تصور فلسفي وهو الدراسة السلوكية، وهي مدرسة ظهرت بالولايات المتحدة الأمريكية على يد واطسون (1958/1878) وتركز اهتمامها بالأساس على السلوك لأنه يخضع للملاحظة والتجربة.²

وتعتمد على بعض الطرق في تعليم اللغة من هذا التصور السلوكي:

- التركيز في دراسة اللغة على الجانب الشفوي بالدرجة الأولى.
- التركيز على اللغة الحية، لغة الحديث الفعلية في فترة محددة.
- الاهتمام بظاهر اللغة أدى بالمدرسين إلى الاعتماد على الطريقة السمعية.
- الشفوية في تعلم اللغة والقائمة على المثير والاستجابة والتدعيم.³

الاتجاه التوليدي (التحويلي):

أحدثت النظرية التوليدية لتشومسكي (1928) ثورة في الفكر اللغوي الذي كان سائدا حتى العقد السادس من القرن الماضي، بإصدار كتابه الأول (المباني التركيبية) عام 1957م، حيث بدأ فيه ينتقد علم اللغة الوصفي، وقد تأثر بأراء المدرسة الفلسفة العقلانية التي سادت الفكر الأوروبي خلال القرن السابع عشر والتي كان ديكرت من أشهر أعلامها.

كانت آراء تشومسكي عن اللغة وطبيعتها مناقضة تماما لأراء أسلافه من اللغويين الوصفيين، حيث أحدث حركة جديدة بالبحث العلمي ألا وهي النزعة التحليلية التي لم

¹ شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2004، ص: 16.

² علي آيت أوشان: اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي، الأسس المعرفية والبيداغوجية، ص: 33.

³ المرجع نفسه، ص: 34.

تكتف بالوصف المجرد للآليات اللغوية بل تتجاوزه إلى البحث عن الأسباب والعلل، وانصبت دراسته على النحو.¹

إن النحو التوليدي لم يعد محاكيا للنحو التقليدي المدرسي في المفهوم والأهداف؛ لأنه لا يرمي إلى تحديد المعايير التي تمكن المتكلم من استعمال لغته الأم استعمالا دون أخطاء؛ بل إن النحو عنده هو مجموعة من القواعد الكامنة في ذهن المتكلم؛ الراسخة فيه والمكتسبة من محيطه الاجتماعي منذ طفولته. والتي تمكنه فيما بعد من اكتساب لغات أخرى. كما تمكنه من إنتاج جمل جديدة لما يسمعا بعد. ومن هنا، يصبح نحو تشومسكي توليديا.²

إن أهم ما قدمته نظرية النحو التوليدي _ التحويلي أنها نظرية عقلانية بنت النحو على فرضيات ابستمولوجية تتسم بالمرونة، كما أنها نهت إلى الإبداعية والقدرات الفردية للإنسان في اكتسابه للغة، واهتمت باكتشاف الحقيقة العميقة الكامنة تحت السلوك الفعلي، وأتاحت البحث في مسائل مطلقة كالنظام التجريدي للغة والكليات اللغوية، ونظريات المعنى.³

فالنحو التوليدي لأية لغة، هو تلك المعرفة اللاواعية بنظامها التركيبي، الدلالي وال fonولوجي، والذي يسمح للمتكلم بإنتاج عدد غير محدود من الجمل الصحيحة نحويا وداليا، بفضل الطاقة التريديدة لقواعدها. إن هذا المنحى لا يصير النحو التوليدي معياريا كالنحو التقليدي الذي يهدف إلى الحكم على اللغات بالفساد أو الصواب؛ بل إنه يسعى لتوليد العدد اللانهائي من الجمل والتمييز بينها، لطرد كل ماهو بجانب لقواعدها الضمنية. وهذا يصبح النحو التوليد نموذجا لسانيا للمتكلم المثالي.⁴

وكان الفاسي الفهري من الذين ساهموا في تطبيق مفاهيم اللسانيات التوليدية على اللغة العربية، وعديدة هي القضايا التي تناولتها مؤلفاته، غير أننا سنكتفي بنظرية الرابط العاملي، *la théorie de gouvernement et du liage* تشومسكي 1978، هذه النظرية التي اهتمت بالروابط والإحالات، والضمائر وأسماء الإشارة، والعامل (الاسم والفعل)، التي

¹ ينظر: التواتي بن تواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ص 50/49.

² شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص: 40.

³ علي آيت أوشان: اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي، الأسس المعرفية والبيداغوجية، ص: 38.

⁴ شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص: 41.

يمكن استثمارها، حتى يتعرف المتعلم في مادة اللغة العربية الآليات التي تجعل النص / الخطاب مترابطة متسقا، بحيث إذا أراد كتابة نص، أن يفكر في آليات ترابط جملة، وحين يعبر في مداخلة في ندوة ما أن يفكر كيف تتناسق أفكاره¹.

الإتجاه الوظيفي:

تأسست اللسانيات الوظيفية انطلاقا من نتائج العديد من الاتجاهات اللسانية التي اهتمت بالجانب الانثروبولوجي والسوسولوجي والتداولي للغة، ويجمع الوظيفيون أن الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل، ويربطون بين النظام اللغوي وكيفية استعمال هذا النظام وتتميز النظريات الوظيفية بمايلي:

- تعد اللغة وسيلة للتواصل الاجتماعي؛ أي نسقا رمزيا يؤدي مجموعة من الوظائف أهمها وظيفة التواصل.

- تعتمد فرضية أن بنية اللغات الطبيعية لايمكن أن ترصد خصائصها إلا إذا ربط هذه البنية بوظيفية التواصل.

قدرة المتكلم _ السامع في رأي الوظيفيين هي معرفة المتكلم للقواعد التي تمكنه من تحقيق أغراض تواصلية معينة بواسطة اللغة، فالقدرة إذا (تواصلية) تشمل القواعد التركيبية والدلالية².

وغني عن البيان أن اللساني أحمد المتوكل من المؤمنين بأن علاقة النحو العربي، باللسانيات الوظيفية الحديثة علاقة أصول وامتداد، فإن اللسانيات الوظيفية، في علاقتها بتدريس اللغة العربية تروم تحقيق غايتين:

- تقريب مفاهيم وأليات النحو الوظيفي إلى أساتذة مادة اللغة العربية.

- تبسط المقاربة الوظيفية لظواهر لغوية كالعطف والاستلزام الحوارية والإحالة.

إن هاتين الغايتين، تدلان على أن استثمار اللسانيات الوظيفية لتدريس مكونات اللغة العربية، بالسلك الإعدادي ممكنة، شريطة التعامل مع أفكار اللسانيات الوظيفية في شموليتها، لا التعامل التجزيئي،.

يسعى لسانيو هذا المنحى إلى إنجاز مشروع ذي شقين:

¹ عبد الوهاب صدقي: اللسانيات وتدريس اللغة العربية، تدريس اللغة العربية من منظور لساني وظيفي حديث، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد:2، ديسمبر 2011، طنطان، المملكة المغربية، ص: 73.

² علي آيت أوشان: اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي، الأسس المعرفية والبيداغوجية، ص:39/38.

- إضاءة نسق اللغة العربية صرفاً وتركيباً واستعمالها فصيحاً ودواجح في مختلف القطاعات الاقتصادية والاجتماعية... إلخ.
- مد الجسور لوصول البحث اللساني الوظيفي بالتنظير العربي التراثي للدلالة منظور إليه في مجمله نحواً وبلاغة وفقه لغة وأصول فقه وتفسيراً. وهنا يأتي تأكيد أن المتوكل يبحث عن العلاقة القائمة بين التراث العربي القديم ومبادئ اللسانيات الحديثة.¹
- يقول أحمد المتوكل: أنه تعتبر مجموعة الظواهر التي نحن بصدددها، في النظريات اللسانية المنتمية إلى المجموعة الثانية²، ظواهر تداولية مرتبطة بالمقام أي بمختلف الظروف المقامية التي تنجز فيها الجمل. وتعتبر، بالتالي، مفاهيم المبتدأ والمحور وغيرها علاقات تداولية قائمة بين مكونات الجملة على غرار العلاقات الدلالية (منفذ)، (متقبل)، (مستقبل)، (مستفيد)، والعلاقات التركيبية (فاعل)، (مفعول). وتختلف التحديدات المقترحة بالنسبة للعلاقات التداولية باختلاف هذه النظريات كما تختلف كيفية التمثيل لها باختلاف كيفية تنظيم النحو داخل كل نظرية.
- كما يعتبر النحو الوظيفي الذي اقترحه سيمون ديك في السنوات الأخيرة، في نظرنا، النظرية الوظيفية التداولية الأكثر لشروط التنظير من جهة ولمقتضيات النمذجة للظواهر اللغوية من جهة أخرى، كما يمتاز النحو الوظيفي على غيره من النظريات التداولية بنوعيه مصادره، فهو محاولة لصهر بعض من مقترحات نظريات لغوية (النحو العلائقي)، نحو الأحوال، الوظيفية، ونظريات فلسفية (نظرية الأفعال اللغوية، خاصة

¹ عبد الوهاب صديقي: اللسانيات وتدرّس اللغة العربية، تدرّس اللغة العربية من منظور لساني وظيفي حديث، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد: 2، ديسمبر 2011، طنطان، المملكة المغربية، بنظر: ص 76/77.

² تضم المجموعة الأولى جميع النظريات اللسانية التي تعتبر اللغات الطبيعية أساقفاً مجردة، يمكن وصفها بمعزل عن وظيفتها التواصلية في حين أن المجموعة الثانية تشمل النظريات اللسانية التي تعتمد، كأحد مبادئها المنهجية المبدأ الأتي: اللغات الطبيعية بنيات تحدد خصائصها (جزئياً على الأقل) ظروف استعمالها في إطار وظيفتها الأساسية، وظيفة التواصل، ويمكن التمثيل للنظريات اللسانية المنتمية إلى المجموعة الثانية بما يسمى بالبراجماتناكس؛ التي تمثل أحد التطورات الأخيرة لما كان يدعى (الدلالة التوليدية)، والنظرية الوظيفية، المقترحة في إطار مدرسة هارفارد الأمريكية والنظريات الوظيفية الأوروبية التي نذكر منها، خاصة المدرسة النسقية، ومدرسة براج، وأخيراً النحو الوظيفي الذي اقترحه في السنوات الأخيرة سيمون ديك. أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشورات الجمعية المغربية، للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1: 1405/1985م، ص: 8.

أثبتت قيمتها في نموذج صوري مصوغ حسب مقتضيات النمذجة في التنظير اللساني الحديث¹

وليس من شك في أن أساليب تعليم اللغة العربية اليوم ليست مؤثرة بوجه عام، ولا هي ميسرة للقبول بها والإقبال عليها وللاندماج فيها. فالمنهج التعليمي المعتمد في جل المدارس لم يساير التطور الذي تعرفه مناهج تعليم اللغات في عصرنا. وعلى الرغم من التحسن الذي أدخله بعض الغيورين على العربية من الخبراء التربويين وعلماء اللغة المتخصصين على مدى العقود السبعة الأخيرة، وظهور كتب مدرسية وأخرى للثقافة اللغوية والنحوية العامة صنفت بأساليب حديثة وصممت بطرق مبتكرة، فإن القاعدة العريضة لتدريس العربية لم تتأثر بالقدر الكافي، بالنتائج المحصل عليها في هذا الحقل التربوي، ولم يقع تطور ذو شأن في أساليب تدريس العربية، ولم يتحسن الوضع اللغوي على النحو الذي يخفف من الأزمة اللغوية التي من مظهرها شيوع الضعف العام في اللغة، وانحسار إتقانها وإجادتها وتمكينها في حدود ضيقة، وانتشار العاميات والرتانة المهجينة².

ومدرس اللغة العربية يدرس مادته على أساس أهميتها الوظيفية في الحياة وهو الذي يهتم بتدريس طلابه على الاستعمال اللغوي السليم، لا بتحفيظهم القواعد والتعاريف وصيها في قوالب جامدة، فله أفاق واسعة في اختصاصه العلمي؛ فهو يقوم الألسنة بتدريسه، مما يدعوه إلى ضبط حركات الكلمات وأواخرها بحسب قواعد اللغة العربية الواسعة جدا في نحوها، وأوائل الكلمات وأواسطها بحسب قواعد الاشتقاق والتصريف. وهو يعنى بجودة النطق مما يقتضي معرفة قواعد النطق الصحيحة ومخارج الحروف وصفاتها وأنواعها، ويعنى برسم الحروف بصورة صحيحة وجيدة على قواعد دقيقة مما تلزم حسن الخط وإتقان قواعد الإملاء، وتقوي الناشئ إلى النطق الصحيح والتفكير السليم، والقدرة على الإفهام الصحيح³.

¹ أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشورات الجمعية المغربية، للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1: 1405هـ / 1985م، ص: 9.

² عبد العزيز بن عثمان التويجري: تعلم اللغة العربية تحديات ومعالجات، ص: 14.

³ سعد علي زايد، إيمان اسماعيل عاز: مناهج اللغة العربية وطرائق تدريسها، ط1، 1435/2014هـ، دار صفاء للنشر والتوزيع، عان، ص: 37.

إن أساس ضعف استعمال اللغة العربية في المراحل التعليمية المختلفة عمل ينوء به التدرسيون والطلبة، إذ أن معظم هؤلاء لا يتقنون ما يتلقونه من علوم لغتهم ببسر وسهولة ولا يقبلون عليها بشوق ورغبة. وقد يكون سبب المشكلة في مواد اللغة العربية المقررة في كليات التربية التي مضى على تأليفها واستعمالها مدة ليست بالقصيرة ولم تتعرض في هذه المدة لعملية تقويم، وهناك مشكلة أخرى مهمة جداً، وهي مشكلة طرائق التدريس ففي اللغة العربية ينبغي أن تتبع طرائق خاصة لتدريسها. ومن مشكلات البحث في المرحلة الجامعية ما يتعلق بالمنهج الدراسي، وعدم توافر منظومة خاصة للبناء المهجي في معايير التقويم.¹

ليست الحداثة في ذاتها وبمفهومها التاريخي، معياراً علمياً، وإلا صار من اللازم على المعماريين الاستغناء عن هندسة إقليدس، فالنحو التقليدي كهندسة إقليدس مازال ساري المفعول في الكثير من البلدان المتقدمة وغير المتقدمة، إنما يختلف تاريخياً عن اللسانيات الحديثة في سنه بحكم امتداد عمر النصوص على فضاء تاريخي يغطي قروناً أطول، فالنظرية النحوية العربية التقليدية كالنظرية التقليدية النحوية الفرنسية كلتاهما معاصرة للنظريات اللسانية العامة²

ومما لا شك فيه أن تبني النظريات الحديثة في تعليم اللغة العربية باع في ذلك ففضية الفرق بين الفصحى والعامية أو الفصحى واللهجات تختفي أمام علم اللغة الحديث، فكل جدير بالدراسة، وليست العاميات أو اللهجات أقل انتظاماً من الفصحى، ولعل ذلك من آثار الاستعمال الغربي للعالم العربي إذ أهتم هذا الاستعمار بدراسة اللهجات المحلية، وهي دراسة يحوطها كثيراً من الشك والارتياب، وبخاصة عندما ارتفعت بعض الأصوات تطالب بإحلال العامية محل الفصحى في الكتابة والتأليف واتخذت بعض الإجراءات العملية في هذا السبيل فمزج بعض أدباء العربية في مؤلفاتهم بين الفصحى والعامية وكتب بعضهم مؤلفات بالعامية ودعا بعضهم صراحة إلى استخدام العامية،

¹ ينظر: سعد علي زايد، إيمان اسماعيل عازن: مناهج اللغة العربية وطرائق تدريسها، ص: 38.

² محمد صلاح الدين الشريف، قراءة اللسانيات العربية في ضوء المناهج اللسانية الحديثة، مجلة قراءات معاصرة لقضايا التراث اللغوي والأدبي والبلاغي، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، 1440هـ/2019م، ص: 212.

لكن النظر العلمي تجاوز هذه المحاولات المريبة إلى موقف علمي يرى في اللهجات صورة من صور النطق للغة العربية جديرة بالدراسة والوصف¹ من الغريب أن الحركة التبسيطية التي انتشرت في أواخر الثلاثينيات إلى أواخر السبعينيات، والتي بقيت آثارها فاعلة إلى اليوم في التعامل مع النصوص التقليدية، وجدت رموزها في شخصين فاضلين صلتهم باللسانيات اللسانيات العربية ضعيفة جدا: وهما إبراهيم مصطفى صاحب (إحياء النحو)، وابن مضاء صاحب (الرد على النحاة). إن كان الأول مجتهدا تحكمت في توجهاته الحاجة الاجتماعية الأكيدة إلى خدمة التعليم والثقافة الوطنية، فالثاني فقيه ليس له أي غاية علمية سوى أن يقطع الوسائل النحوية للتأويل الظاهري، والجامع بين التوجيهين هو الفقر المعرفي والمهجي في التصورات والطرق.

كما لم يكن أغلب المهتمين بالتيسير النحوي على علم دقيق بالنظريات النحوية القديمة والحديثة، ولا بالطرق التربوية بما يسمى بالنقل التعليمي، أي نقل المعرفة العاملة من مستواها العلمي الرفيع إلى المتعلم في مستوى معين من التحصيل.²

قائمة المصادر والمراجع:

1. فريد الدين آيدن: أهمية اللغة العربية وتدريسها وأهدافها ودورها في بث العلوم والمعارف وتسهيل الاتصالات، أسطنبول 1996م
2. فرحان سليم، اللغة العربية ومكاتها بين اللغات، مكتبة نور، دط.
3. أحمد عبد العزيز دراج: الإتجاهات المعاصرة في تطور دراسات العلوم اللغوية، مكتبة الرشد، 1434هـ/2003.
4. مصطفى ناصف: اللغة والتفسير والتواصل، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، إشراف أحمد مشاري العدواني، 1990/1923.
5. عبد العزيز بن عثمان التويجري: تعليم اللغة العربية تحديات ومعالجات، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو 1438 هـ 2017 م، الرباط المملكة المغربية.
6. علي آيت أوشان: اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي، الأسس المعرفية والديداكتيكية، ط1، 1998، دار الثقافة، البار البيضاء، ص:25.
7. عبد الرحيم البار: الفكر اللساني العربي الحديث بين التجديد والتقليد، جامعة محمد خيضر، بسكرة الجزائر مقال منشور في الأترنيت.

¹ ينظر: جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق حلمي خليل، ص: 46.

محمد صلاح الدين الشريف، قراءة اللسانيات العربية في ضوء المناهج اللسانية الحديثة، مجلة قراءات معاصرة لتضايا التراث اللغوي والأدبي والبلاغي، ص: 232.

8. عبد الوهاب صديقي: اللسانيات وتدرّيس اللغة العربية، تدرّيس اللغة العربية من منظور لساني وظيفي حديث، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد: 2، ديسمبر 2011، طنطن، المملكة المغربية.
9. جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط: 1، 1985م.
10. التواتي بن تواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دار الوعي للنشر والتوزيع، 2008.
11. تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994.
12. محمد الدرّيج: ديدكتيك اللغات واللّسانيات التطبيقية، تداخل التخصصات أم تشويش برديكي، منشورات مجلة كراسات تربوية، 2019.
13. شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 2004.
14. أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشورات الجمعية المغربية، للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط: 1، 1405هـ / 1985م.
15. سعد علي زايد، إيمان اسماعيل عاز: مناهج اللغة العربية وطرائق تدرّسها، ط: 1، 1435/2014هـ، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان.
16. محمد صلاح الدين الشريف، قراءة اللسانيات العربية في ضوء المناهج اللسانية الحديثة، مجلة قراءات معاصرة لتضايًا التراث اللغوي والأدبي والبلاغي، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، 1440هـ / 2019م.